١) حوار مع المؤلف الدكتور علي مهدي زيتون

أجرته معه الدكتورة راغدة المصري في ٢٠١٨/١٢/١٠
أ./. في الجامعة اللبنانية / كلية الآداب/ قسم التاريخ
raghidamasru@gmail.com

الاستاذ الدكتور علي مهدي زيتون، الناقد للشعر والرواية، والناقد للنقد لجهة الازمة التي يعاني منها، بعد انتقال الحداثة الغربية من نظرية الانعكاس الى نظرية الانكسار. يطلّ علينا برؤيته الحداثية المؤسسة على الكشف وذلك من خلال كتابه " **المدرسة الايكوية في الكتابة، ما لا يمكن تنظيره ينبغي سرده**" . وهو مؤلف من ٢٥٢ صفحة صادر عن دار المعارف الحكمية، ولكي نتعرف اكثر على هذا الكتاب ومضمونه كان لنا لقاء مع الاستاذ د علي زيتون، واجرينا معه الحوار الآتي:

س_ ما الإشارات التي يحملها عنوان الكتاب؟

ج_ العنوان سطران كما نلاحظ . يبدأ السطر الأوّل بكلمة (مدرسة) وهذه الكلمة في عالم الأدب والنقد تعني أوّل ما تعنيه خصوصيّة قائمة على مجموعة من القواعد . وحين نربط كلمة (المدرسة) بكلمة (الإيكويّة) يعني أنّنا نشير إلى أنّ إيكو صاحب نهج خاصّ في الكتابة يمكن أن يلتفّ حوله تابعون يحاولون النسج على منواله ، بقطع النظر عن وظيفة هذا المنوال طبيعته.

أمّا السطر الثاني فإنّه نقل حرفيّ للقاعدة الإيكويّة الأثيرة في الكتابة. وإذا ترك لنا إيكو نوعين من الكتابة : الكتابة النقديّة والكتابة الروائيّة السرديّة ، يعني أنّه يلمح بذلك إلى نهجه ما بعد الحداثيّ . وحين تستعصي المفهمة، صوغُ النظريات فالتفاصيل وسردها هما البديل.

س _ ما علاقة الكتاب بالإهداء؟

ج _ لقد اجترح كلّ من عهد التميمي وأحمد جرار معجزتهما بقبضةٍ وإصبعٍ في الوقت الذي كنت أحضّر فيه هذا الكتاب .يعني أنّهما الأجدران بأن يُهدى الكتاب لهما، خصوصا أنّهما بما اجترحاه كانا حداثيّين يعليان العقل العلمي في مواجهة العدميّة والعبثيّة الما بعد حداثيّين.

س: شهدنا على الساحة الادبية ولادة كتاب جديد "المدرسة الايكوية في الكتابة، ما لا يمكن تنظيره، ينبغي سرده" ما هو سبب ظهوره، وما الذي دفعك الى كتابته؟

ج: في الحقيقة ان ايكو لم يكن خاطرا لي على بال لاني كنت مهتما كما هو معروف بالنقد الادبي الحداثي سواء أتعلق الأمر بالشعر أم تعلّق بالنثر ، إلّا أنّ الندوات التي كان يقيمها معهد المعارف الحكمية في بيروت حول النقد الادبي، وموضوع الرواية بشكل خاص وصلتني **بأمبرتو إيكو** من حيث لا أحتسب.إذ كان أن كلفني العاملون في المعهد بدراسة رواية ل "**امبرتو ايكو**" عنوانها "**اسم الوردة**".هذه الرواية التي كانت لي معه تجربة طريفة دفعتني الى تأليف هذا الكتاب.

س: برأيك ما مدى الاستفادة الفكرية والثقافية من معالجة مواضيع كهذه، في هذا الوقت الذي فيه العالم صراعيّة ما بين الحداثة وما بعد الحداثة ؟

ج:"**امبرتو ايكو**" في كل كتبه هو ما بعد حداثي سواء أتعلّق الامر في كتاباته النقدية التي قاربت العشرة كتب أم تعلق بكتاباته الروائية التي تجاوزت الست روايات. وايكو الذي هو ما بعد حداثي يستدعي من المثقف ان يحدد رأياً أو موقفاً مما كتبه، هل نقبل ما ذهب اليه؟ هل يجب أن نعمم ما قاله؟ ام علينا أن نحاوره في ما كتبه ، وأن نبيّن موقفنا الحداثي منه؟

س: ذكرت في أول الكتاب ثلاثة عناوين اساسية تناولها ايكو في أثناء محوراته : الحقيقة, والتاريخ ، والقضايا الكبرى. كيف ظهرت هذه القضايا في نظرية ايكو ما بعد الحداثيّة؟

ج: ظهرت هذه القضايا الثلاث ومن منظور ما بعد حداثي في كلّ ما كتبه. تعامل ايكو في كتاباته النقديّة الأدبيّة تعامله مع كتاباته الروائية ، كان في الحالين ما بعد حداثي.أقامت التفكيكيّة صلة رحم وشيجة بينهما .

بدأ ايكو بالكتابة النقدية ، فكان كتاباه: "**الاثر المفتوح**" ، و"**التأويل بين السيميائيّات والتفكيكيّة**" **اللذان جرّا سلسلة من الكتب النقديّة.** ولعل آخر ما كتبه، سواء تعلق الامر بالكتابة السردية ، ام الكتابة النقدية هو كتابه :" **أليات الكتابة السردية**" ولعله ذو بعد إجرائيّ مختصّ بالتجربة الايكوية مع الكتابة السردية؛ خصوصا أنّ إيكو بدأ بالتنظير، والغريب في الأمر أنّ التنظير غريب عما بعد الحداثة. التنظير انتاج مفاهيم، والمفهمة مناقضة لما بعد الحداثة. فانتاج المفاهيم حداثيّ بامتياز، أما ما بعد الحداثة فمعادي للمفهمة، ولعملية انتاج المفاهيم كما أشرنا. على كل حال أنّ إيكو في كتاباته النقدية لم يكن منتجا للمفاهيم، ولم يقم بعملية مفهمة. حاول نقب الأساسات التي قامت عليها الحداثة.

ففي كتابه "**الاثر المفتوح**" لا يبحث في أنّ النصّ قابلية متعددة القراءات، متعدّدة الدلالات فحسب، ولكنّه أراد أن يقول أنّ النص في المحصّلة لا يقول شيئاً. يعني أنّه في "الأثر المفتوح" لم يكن كما يتبادر إلى ذهن الحداثيّ للوهلة الأولى. فعملية البحث عنده ليست بحثاً عن الحقائق اليقينية، إنما هي بحث عن تضييع الحقائق اليقينية، وصولاً الى العبثية . وهو في كتابه الثاني "**التأويل بين السيميائيّات والتفكيكيّة**"يذكرنا بداية بما هو حداثي. فالسيمائية علم حداثي؛ لأنّها بحث عن حقائق يقينية. أمّا أيكو فقد ألحقها **بالتفكيكيّة وأدخلها في عدادها، من خلال** عنوانه:"**التأويل بين السيميائيّة والتفكيكيّة". فإذا كان التأويل في الأصل** بحثا عن الدلالة، فإنّه في جلوسه بين المتناقضتين: السيميائيّة والتفكيكية، أقام مصالحة بينهما وصار مجالا لتضييع الحقائق اليقينية.

س: اذا برأيك ان المدرسة الايكويّة مدرسة تفكيكية. بمعنى أنّها قائمة على تضييع القضايا الكبرى والقيم.

ج: نعم ، هذا يبدو بأوضح ما يكون في كتاباته الروائية التي لجأ اليها بعد أن تيقّن أن لا امكانية للتنظير جريا على القاعدة التي اختطها:" ما لا يمكن تنظيره ينبغي سرده"، فعملية السرد ليست مفهمة. حين نسرد أحداثاً لا نقدم قضايا كبرى، ذات انسانيّ أو وطنيّ أو اجتماعي. السرد عمليّة تقديمٍ لاحداث ولتفاصيل. يعني اننا مع الرواية والسردقد انتقلنا من القضايا الكبرى الى التفاصيل الصغرى ، الى الامور اليومية حتى التافه منها. هذا ما قام عليه تحول إيكو الى السرد؛ لأن المفهمة واقعة خارج تفكيره. وروايته"**جزيرة اليوم السابق**"،تضعنا امام شخصية محجوزة، بفعل ظروفها الخاصّة بها، في سفينة في عرض البحار والمحيطات لا تعرف هذه الشخصية القابعة داخل السفينة اين هي؟.

وانسان هذه وضعيته، يعني أنه مستسلم لوضعيّة قاهرة، لا تبقي من همومه واهتماماته سوى محاولة البحث عن الخروج من هذا المأزق عبر تفاصيل يومية. وبمعنى آخر إن هذه التفاصيل لا تعني شيئا بالنسبة إلى قضايا الانسان الكبرى . فهي ليست بحثا عن كرامة الإنسان ولا تتعلّق بقضيّة من قضايا التحرر.

س: ما هو موقف ايكو من اليهود خصوصاً انك عالجت نظرة ايكو الى هذه المسألة في مكان ما من هذا الكتاب؟

ج: حضر اليهود في روايته"مقبرة براغ "التي يقرأها القارئ فلا يخرج منها بموقف محدد لايكو من اليهود." مقبرة براغ" هي مقبرة يهودية. والسؤال المحوري في هذه الرواية: هل يدين ايكو الثقافة الصهيونية؟ هل يدافع عنها؟ هو لا يدافع ولا يدين. ما نجده هو أنّه يعرض تفاصيل تبلغ درجة التفاهة في بعض الأحيان. بما يعني انه واقف خارج القضايا الكبرى، خصوصا أنّايكو يقف موقفا حياديا بين العنصريّة الصهيونيّة من جهة، وبين ما تتركه من فواجع وآلام .

س: تناولت المادة الإيكويّة المدروسة من خلال المنهج الثقافي الذي يرتكز إلى نظرية الكشف، هل لك أن توضح لنا هذا المنهج؟

ج:الحقيقة اني واجهت ما كتبه ايكو نقدا كان ام سردا، من خلال منهج نقدي ،أسميه المنهج الثقافي الذي يرتكز الى ثلاثية هي: الرؤية ، العالم المرجعي الذي يشكل مادة الرؤية، واللغة. هذه الثلاثية هي قوام المنهج الثقافي، وقد اسميته ثقافيا لأن الرؤية بالنسبة اليّ تقوم على رباعية : الثقافة والقناعة والهموم والاهتمامات ، وارى أن السيطرة في هذه الرباعية للثقافة. فالثقافة هي التي تشكل قناعاتنا، والثقافة هي التي تشكل همومنا،والثقافة هي التي تشكل اهتماماتنا. اذا نحن نرى العالم على قاعدة الثقافة، وننقل ما رأيناه بوساطة اللغة. وهذا المنهج يقوم على نظرية الكشف. ونظرية الكشف هي تجاوز لنظريتين قام عليهما النقد الغربي في ظل الحداثة. تجاوز نظرية الانعكاس التي قامت على قاعدة المرآة التي نرى فيها وجهنا كما هو، وهذه النظرية رأت أن الأدب انعكاس، فجاء علم التاريخ ليرى أن الأدب انعكاس للتاريخ، وجاء علم الاجتماع ليرى أن الأدب انعكاس للمجتمع، وجاء علم النفس ليرى أن الأدب انعكاس لعالم اللاشعور. وجاءت نظرية الانكسار لتتجاوز نظريّة الانعكاس. ونظرية الانكسار وان رفضت نظرية الانعكاس الا انها تضمنتها في الحقيقة ولم تلغ حضورها نفيا تامّا. ذلك ان انكسار الواقع ليس الغاء لما يراه جميع الناس من ذلك الواقع. قالت بنقل الواقع معدلا. ولعل نظرية الكشف هي البديل العلميّ لنظريتي: الانعكاس والانكسار ؛ لأنّ أيّ شيء من الأشياء، وأنّ أيّ بشريّ من البشر لا يقوم على بعد, يعني أنّ أيّ شيء أو أيّ شخص لا يتمثل بما يراه الاخرون منه ظاهريا انه ابعاد لا حصر لها. من هنا تأتي الرؤية البصمة .فحدث تموز ٢٠٠٦ هو متعدّد الأبعاد بعدد أنفاس الخلق. اراه أنا من خلال رؤيتي وما قامت عليه من ثقافة وقناعات وهموم واهتمام . ألتقط منه عمقا فريدا لا يمكن أيّة رؤية أخرى أن تلتقطه، ويأتي شخص آخر فيراه بعين ثقافية أخرى، و يأتي ثالث أو .... يعني أن الرؤية بصمة لا تتشابه مع أية رؤية أخرى، ويتم نقل ما رأته الرؤية للآخرين بوساطة اللغة، اللغةِ التي تُعدّ هي الأخرى بصمة، فرادة لا تشابه بصمة أخرى أو فرادة أخرى.

س: وفي الختام د علي زيتون الى اي نوع من الحداثة يدعو؟

ج: الحداثة الغربية قائمة على سلطة العقل العلمي الباحث عن حقائق يقينية. وانا مع هذه النظرة الى الحداثة. والقرآن الكريم له حداثته القائمة على العقل العلمي أيضا . فدعوة القرآن متكررة الى حاكميّة العقل و هذه الحاكميّة ليست دعوة مجردة عن العلمية. فالآيات التي يدعو القرآن الكريم إلى الإرتكاز عليها هي في الحقيقة العلامات الدالّة الموصلة إلى حقائق يقينيّة . وهي العلامات التي تمكّن العقل الذي شدّد القرآن الكريم على حاكميّته من أن يكون عقلا علميا يبحث عن الحقائق اليقينية. ومع ذلك فالحداثة الغربية مختلفة عن الحداثة القرآنيّة بأمر جوهري. الحداثة الغربية لا تربط العقل العلميّ بأيّة قيم أخلاقية أودينية. أما العقل العلمي القرآني فأنه مقيّد بالقيم الاخلاقية والدينية التي تقوم على اساس احترام حقوق الآخر والدفاع عنها. وهذا ما لا نجده في الحداثة الغربيّة التي أباحت للغرب دم الشرق وماله وثرواته فكانت حداثة عنصريّة بامتياز .